التفسير الموضوعي بين إشكالية المفهوم وواقع التطبيق
دراسة استقرائية نقدية موازنة بين باقر الصدر وزياد الدغامين

الدكتور/ عبد الله بن سالم بن حمد الهنائي
قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس

الدكتور/ فهد بن عامر بن سالم السعيدي
قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس

ملخص البحث

هنالك صعوبات وإشكالات ترتبط بالتفسير الموضوعي من حيث المفهوم والمتطلبات العلمية والمنهج المتبع، وما مدى التزام كل من محمد باقر الصدر وزياد الدغامين بتطبيقها في الجانب العملي.

يهدف البحث إلى إبراز أهم الإشكالات والصعوبات المرتبطة بالتفسير الموضوعي ووضع حلول مناسبة لها، وإلى الكشف عن منهجية كل من الصدر والدغامين ومدى التزامهما بالمنهجية المبتغاة في التفسير الموضوعي، بهدف الموازنة بينهما في الإيجابيات والسلبيات. اتبع الباحثان المنهج الاستقرائي باستقراء كل من كتاب الصدر والدغامين، والمنهج المقارن بالمقارنة بينهما، والمنهج النقدي ببيان الإيجابيات والسلبيات لكل منهما.

وتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول تحدث عن الإشكاليات في التفسير الموضوعي من حيث المفهوم والمتطلبات العلمية والمنهج، أما المبحث الثاني فقد حوى عرضًا لمنهجية الصدر والدغامين وملخصًا لموضوع كل منهما، أما المبحث الثالث فقد اشتمل على نقد تطبيقات التفسير الموضوعي عند الصدر في موضوع عناصر المجتمع وعلاقته في القرآن الكريم، وعند الدغامين في موضوع الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم.

وخلص البحث إلى نتائج من أهمها الجدة في التفسير الموضوعي أورثت التعريف والمناهج بعض الإشكالات من مثل التداخل وعدم الوضوح، وكان تطبيق الصدر في عناصر المجتمع وعلاقته في القرآن مبتكرًا أظهر مدى أهمية التفسير الموضوعي في إعادة اكتشاف مكنونات القرآن. وجاء تطبيق الدغامين في موضوع الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم مرتبًا ومنظمًا؛ لكنه عانى من الاعتماد على التفسير التجزيئي.

الكلمات الدلالية: التفسير الموضوعي، باقر الصدر، زياد الدغامين، عناصر المجتمع، الأمن الاقتصادي، التفسير التجزيئي

abstract of the research

There are difficulties and issues related to objective interpretation in terms of concept, scientific requirements, methodology followed, and extent of the commitment of both Baqir al-Sadr and Ziad Aldghamin are applied in the practical aspect. the research aims to highlight the most important problems, difficulties associated with the objective interpretation and to develop appropriate solutions. Moreover the research tend to disclose the methodology of each Sadr and Dagamine and their commitment to the intended methodology for the objective interpretation the researchers followed the inductive approach by extrapolating both the books of al-Sadr and al-Daghameen ,the comparative and critical approach to understand advantages and disadvantages of both of them. The research consists of an introduction and three chapters.The first chapter discusses the issues of objective interpretation in term of concept, scientific requirement and methodology. while the second chapter contains a presentation of the methodological approached followed by both Al-sader and al-Daghameen including a summary of their subjects. Moreover, the third chapter criticizes the applications of objective interpretation in terms of elements of the society and its relationship with the Quran as perceived by Al-Sader, including the economic security in the Quran as perceived by Al-Daghameen finally, the research concluded that the novelty of the objective interpretation have changed curriculum and definitions that lead to intersection and lack of transparency. however, the application of Sadr in the elements of society and its relationship with Quran is an innovative work that showed the importance of the objective interpretation in the rediscovery of content of The Holy Qur'an.on the other hand , the Al-Daghameen's application of economic security in the Holy Quran was orderly and systematic, he suffered from reliance on fractional interpretation.

Tags: Objective interpretation , Baqir al-Sadr, Ziad Aldghamain, Elements of society, Economic security, Fragmentary interpretation

مقدمة

لقد احتل القرآن الكريم مكانة مهمة في الإسلام؛ حيث إنه المصدر الأول للتشريع، وهو الكتاب السماوي الذي لم يلحق به خطأ أو تحريف، وقد اشتغل علماء الإسلام بتفسيره منذ القرون الأولى، وتطورت مناهج التفسير منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا.

ويعتبر التفسير الموضوعي أحد المناهج الحديثة في البحث عن مكنونات القرآن العظيم، وقد مر بمراحل عدة من التطور حتى بات علمًا يدرس في الجامعات وله مناهجه الخاصة، وبدأ علماء الإسلام في تطبيقه والاستفادة منه، إلا أن استجلاء إشكاليات التطبيق ونقد التطبيقات عند من كتبوا في التفسير الموضوعي ما يزال من المواضيع التي تحتاج إلى مزيد دراسة واهتمام.

ولهذا سيتطرق هذا البحث لدراسة ونقد تطبيق التفسير الموضوعي عند أحد أوائل من كتبوا فيه؛ ألا وهو محمد باقر الصدر، وبالتحديد في موضوع "عناصر المجتمع وعلاقاته في القرآن الكريم"، وموازنته مع زياد الدغامين أحد الكتاب المعاصرين وموضوعه "الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم".

١- مشكلة البحث:

تتمثل المشكلة التي يحاول هذا البحث معالجتها في عدة أسئلة:

أ. ما الإشكاليات والصعوبات المرتبطة بالتفسير الموضوعي من حيث المفهوم والمتطلبات العلمية والمنهج المتبع؟

ب. ما منهجية محمد باقر الصدر في التفسير الموضوعي؟ وكيف طبقها في موضوع عناصر المجتمع وعلاقاته؟

ج. ما منهجية زياد الدغامين في التفسير الموضوعي؟ وكيف طبقها في موضوع الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم؟

د. هل وفق كل من محمد باقر الصدر وزياد الدغامين في تطبيقهما للتفسير الموضوعي؟

٢- أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

أ. إبراز أهم الإشكالات والصعوبات المرتبطة بالتفسير الموضوعي؛ من حيث المفهوم والمتطلبات العلمية والمنهج المتبع ومحاولة إيجاد حلول مناسبة لها.

ب. الكشف عن منهجية محمد باقر الصدر في كتابه المدرسة القرآنية، وبالتحديد موضوع عناصر المجتمع وعلاقاته في القرآن الكريم وكيف طبق منهجه.

ج. بيان المنهجية التي سار عليها زياد الدغامين في التفسير الموضوعي، وبالأخص موضوع الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم وكيف طبق منهجه.

د. الموازنة بين كل من محمد باقر الصدر وزياد الدغامين، وبيان إيجابيات منهج كل منهما وسلبياته.

٣- أهمية البحث وأسبابه:

السبب الرئيس الذي دفعنا إلى الكتابة في هذا الموضوع هو عدم وجود أبحاث تطرقت إلى هذا الموضوع، فالكثير من البحوث والكتب تصور التفسير الموضوعي مجرد جمع لآيات موضوع واحد ومحاولة إيجاد ترتيب موضوعي يجمعها، وهذه النظرة المبسطة للأمر تتعارض مع النتائج المرجوة من التفسير الموضوعي، حيث تخرج النتائج هزيلة لا قيمة لها عند التمحيص.

وتتجلى أهمية البحث أنه سيسلط الضوء على الإشكاليات المرتبطة بالتفسير الموضوعي من ناحية المفهوم والمنهج والتطبيق، كذلك سيبين البحث أثر هذه الإشكاليات في التطبيق عند أوائل من كتبوا في التفسير الموضوعي كباقر الصدر، وعند المتأخرين قليلًا مثل زياد الدغامين.

٤– المناهج المتبعة:

اتبع الباحثان المناهج الآتية:

أ. **المنهج الاستقرائي:** وذلك باستقراء كل من كتابي المدرسة القرآنية لباقر الصدر، وبالأخص موضوع عناصر المجتمع وعلاقاته في القرآن الكريم، وكتاب التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه وعلى وجه الخصوص الأنموذج الثاني الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم.

ب. **المنهج المقارن:** وذلك بالمقارنة بين الجانب النظري والتطبيقي عند كل منهما، ثم المقارنة بينهما.

ج. **المنهج النقدي:** وذلك بنقد كل من منهج باقر الصدر والدغامين، وبيان الإيجابيات والسلبيات.

٥– حدود البحث:

يركز هذا البحث على تطبيق واحد لكل من محمد باقر الصدر وزياد الدغامين، ومن أجل الموازنة المتساوية فإن التطبيق يجب أن يستقي موضوعه من الواقع وينتهي بالقرآن الكريم، وهي طريقة محمد باقر الصدر الوحيدة التي اعتمدها في كتابه المدرسة القرآنية، لذا اخترنا موضوع "عناصر المجتمع وعلاقاته في القرآن الكريم" كمحور الدراسة والبحث عن محمد باقر الصدر. أما زياد الدغامين فإنه قرر أن الموضوع يمكن أن يستقى من القرآن ويطبق على الواقع، والعكس بأن يستقى من الواقع وينتهي بالقرآن الكريم، وقد كتب موضوع "الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم" المنشور في كتاب التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه كتطبيق وحيد للطريقة الأخير، لذا سيكون هو محور الدراسة والنقد عند زياد الدغامين، ولن يخرج البحث عن هذين الموضوعين.

٧- أدوات البحث:

نظرًا لطبيعة المناهج المتبعة في هذا البحث، فإننا لم نستخدم أيًّا من أدوات البحث في جمع المعلومات.

٨- هيكلية البحث:

تكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

فالمبحث الأول: إشكاليات التفسير الموضوعي، وقد تحدثنا عن أهم هذه الإشكالات التي تعترض الباحث في التفسير الموضوعي من حيث المفهوم والمتطلبات العلمية والمنهج المتبع.

المبحث الثاني: عرض المنهجية وملخص الموضوع القرآني لكل من محمد باقر الصدر وزياد الدغامين.

المبحث الثالث: نقد تطبيقات التفسير الموضوعي عند محمد باقر الصدر وزياد الدغامين.

خاتمة: وفيها أهم ما توصل إليها الباحثان من نتائج في هذا البحث.

هذا، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، والله الموفق.

الباحثان

المبحث الأول: إشكاليات التفسير الموضوعي

بالرغم من الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها التفسير الموضوعي، ومن الأهداف السامية التي يخدمها إلا أن هناك الكثير من الصعوبات والإشكاليات المتعلقة بالتفسير الموضوعي، وسنحاول أن نعرض أهم هذه الإشكاليات في هذا المبحث.

أولًا: المفهوم:

بالرغم من أن بذور فكرة التفسير الموضوعي وجدت في كتابات العلماء المتقدمين، إلا أن مفهوم التفسير الموضوعي كفرع مستقل في الدراسات القرآنية ظهر حديثًا، ومر التفسير الموضوعي كمفهوم بالعديد من التطورات وتباينت فيه الآراء والاجتهادات.

وهذا ما أشار إليه زياد الدغامين من أن مفهوم التفسير الموضوعي لم يستقر بعد، وأنه يتطلب المزيد من الجهود، حيث يقول: "هذا الأمر ينبئ عن أن المفهوم لم يستقر على معنى للتفسير الموضوعي، وأن البحث فيه يتطلب مزيدًا من الجهود، والسبب الظاهر وراء ذلك هو أن فكرة التفسير الموضوعي فهمت وحملت على أبسط معانيها"[(١)].

وبناء عليه فقد اختلف في نطاق التفسير الموضوعي: هل يشمل دراسة مصطلح قرآني، أو دراسة الوحدة الموضوعية في سورة واحدة، أم يقتصر على التعريف المشهوري؟[(٢)] بل أوصل الباحث أحمد أبو زيد مناهج التفسير الموضوعي إلى خمسة منهاج[(٣)] هي:

أ. الموضوع بالمعنى الذي تكون فيه آليات القرآن مادة للبحث.

---

(١) الدغامين، زياد خليل، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، (عمان: دار عمار، الأردن، ط1، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ص ٦٦.

(٢) سعيد، عبد الستار فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (بدون، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط1، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص٢٥.

(٣) أبو زيد، أحمد عبد الله، **أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر قراءة فاحصة**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١١م) ص: ١٩-٧٠.

ب. الموضوع بمعنى مقصد السورة ومحورها وشخصيتها.

ج. الموضوع بمعنى محور القرآن الكريم.

د. الموضوع بمعنى المصطلح القرآني.

هـ. الموضوع بمعنى المسألة المطروحة في رحاب القرآن، التفسير الموضوعي المشهوري.

ثم تأتي قضية أخرى: هل الموضوع المدروس في ربوع القرآن ينطلق من القرآن إلى الواقع، أو من الواقع إلى القرآن، أم الاثنين؟[١]

كل هذه الاختلافات في مفهوم التفسير الموضوعي ومضمونه جعلته يبدو مبحثًا صعبًا أمام الباحثين الجدد الذين يرغبون في الاستفادة منه.

وبالرغم من أهمية المصطلح القرآني والوحدة الموضوعية في السورة وبقية المناهج الأخرى والتي لا ينكر فضلها أحد، إلا أن التركيز على ربط التفسير الموضوعي بمعنى المسألة المطروحة في رحاب القرآن (التفسير الموضوعي المشهوري) واستبعاد بقية المناهج هو الأنسب للمتعلم والباحث معًا؛ وذلك لعدة أسباب؛ أهمها:

أولًا: إن كلًّا من كتب في مناهج التفسير الموضوعي اتفق على صحة هذا المفهوم، بينما اختلفوا في بقية المفاهيم، فبعضهم أنكرها من الأساس[٢].

ثانيًا: المناهج الأخرى لا تتوافق مع الاسم (التفسير الموضوعي)، فكيف يدرج المصطلح القرآني مثلًا تحت بند التفسير الموضوعي؟ إن هذا يسبب إرباكًا شديدًا للمتعلمين والباحثين.

(١) رشواني، سامر عبد الرحمن، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (حلب: دار الملتقى، ط1، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص١٤٤.

(٢) انظر: أبو زيد، **أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر قراءة فاحصة**، ص ١٩-٧٠.

ثانيًا: المتطلبات العلمية:

قد يظن الدارس للتفسير الموضوعي أن الكتابة في هذا المجال سهلة، فهي مجرد تجميع الآيات التي تتكلم في موضوع معين، ثم محاولة فهمها، وهضم كل ما قيل فيها، ثم إعادة صياغتها في موضوع متناسق يوجد الصلة بين الآيات المتفرقة.

إلا أن هذا التصور لا يثبت سريعًا مع النتيجة النهائية للبحث؛ حيث يخرج هزيلًا لا جديد فيه، وغاية ما فيه هو تجميع آراء المفسرين السابقين ومحاولة إعادة صياغتها في موضوع متماسك.

يقول الدغامين: "إن البحث في التفسير الموضوعي يتطلب كفاءة عالية في فهم النص وفي التعامل معه، وخبرة واسعة في معرفة الواقع وفهمه، وحكمة كبيرة في تنزيل النص على ذلك الواقع، فالإقدام على البحث فيه ليس بتلك البساطة التي تملأ صفحات كثيرة من الكتب والبحوث"(١).

ثالثًا: المنهج:

أحد الإشكاليات المهمة في التفسير الموضوعي هو المنهج المتبع أو الخطوات الإجرائية في التعامل مع الموضوع الإجرائي، حيث لا يوجد اتفاق على ماهية هذه الخطوات؛ فهي عند عبد الستار سعيد على سبيل المثال ثمان خطوات(٢)، وعند زياد الدغامين سبع خطوات(٣)، وعند صلاح الخالدي عشر خطوات(٤).

(١) الدغامين، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، ص٦٦.

(٢) وهي: معرفة معنى التفسير الموضوعي، تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه، اختيار عنوان له، جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، تصنيفها من حيث المكي والمدني ومن حيث الزمن، فهم الآيات بالرجوع إلى تفسيرها، تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة، التقييد بقواعد التفسير الموضوعي وضوابطه.

(٣) سنتحدث عنها لاحقًا في إيضاح منهجية زياد الدغامين في التفسير الموضوعي.

(٤) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (عمان: دار النفائس، ط٤، =

وبعد أن قام سليمان الدقور بدراسة متأنية لهذه المناهج، انتهى إلى أن بعض هذه الخطوات ليس لها علاقة بالتفسير الموضوعي وبعضها عام، وبعضها يحتاج إلى مراجعة وتدقيق، وقرر أنه "ليس مجرد جمع الآيات ذات الهدف الواحد أو الموضوع المشترك ثم تحليلها وترتيبها يعطي فكرة التفسير الموضوعي، وليس كذلك الأمر في الحديث عن موضوع معين ثم الاستدلال له بالآيات ذات الشأن الواحد.. يمكن أن يعد تفسيرًا موضوعيًّا"(١).

وقد تتبع الشيخ علي سراقي إشكاليات التفسير الموضوعي في جميع مراحله: من اختيار الموضوع، وتجميع آيات الموضوع، ومراحل العمل التفسيري، ومرحلة استخلاص النظرية، ووجد إحدى وعشرين إشكالية تعترض الباحث أثناء التفسير الموضوعي(٢).

ونخلص من هذا كله إلى أن التفسير الموضوعي تكتنفه الكثير من الإشكاليات بدءًا من تحديد مفهومه، ثم إلى المتطلبات العلمية العالية التي يجب أن يتحلى الكاتبون بها، إلى العقبات التي تعترض الباحثين أثناء اتباعهم لمنهجية البحث في المواضيع القرآنية.

هذه الإشكاليات والصعوبات تظهر جليًّا في تطبيقات التفسير الموضوعي، ومن الواضح التباين الكبير بين هذه التطبيقات باختلاف الكتّاب ومستوياتهم العلمية، وهذا ما سنوضحه في المبحث القادم.

١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص٨٣، ومجملها: اختيار الموضوع، تسجيل الأسباب التي دفعت للبحث، جمع الآيات في الموضوع، استخراج معاني الألفاظ المتعلقة بالموضوع، حصر الآيات في الموضوع، تسجيل ما يدور حول الآيات، قراءة تفسير هذه الآيات، بيان الأبعاد المعاصرة للآيات، استخلاص الدلالات والعبر واللطائف من الآيات، الاطلاع على الدراسات القرآنية الخاصة المعاصرة.

(١) الدقور، سليمان محمد علي، **التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج**، (عمان: مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية- عمادة البحث العلمي، مجلد ٤١، العدد ١، ٢٠١٤م) ص١٢٢.

(٢) سراقي، علي، **التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته**، ترجمة نظيرة غلاب، موقع نصوص معاصرة، http://nosos.net/التفسير-الموضوعي،-مآزقه-وإشكاليّاته/

أخذت بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠١٨م

المبحث الثاني: عرض المنهجية وملخص الموضوع القرآني

أولًا: منهجية محمد باقر الصدر:

لم يشرح محمد باقر الصدر[١] الخطوات الإجرائية أو المنهجية التي يجب أن تتبع في التفسير الموضوعي بشكل مفصل؛ إلا أنه أشار إليها أثناء حديثه وتعريفه للتفسير الموضوعي، وهذه الإجراءات[٢] هي:

أ. اختيار موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية.

ب. استيعاب تجارب الفكر الإنساني حول هذا الموضوع من مشكلات وحلول.

ج. القيام بحوار مع القرآن ليكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح.

د. الخروج بنظرية قرآنية حول الموضوع المطروح.

والملاحظ أن هذه الخطوات الإجرائية فضفاضة بشكل كبير، وهي أقرب إلى الإرشادات العامة، ولعل هذا كان من ذكاء محمد باقر الصدر وفطنته بحيث لم يحصر طرق التفسير الموضوعي في خطوات ثابتة لا تتغير مع تغير المواضيع المدروسة، وهو الأمر ذاته الذي خلص إليه سليمان الدقور، بعد أن ناقش معظم الخطوات الإجرائية عند الكتاب المحدثين في التفسير

(١) محمد باقر الصدر (١٣٥٠هـ-١٤٠٠هـ/١٩٣١م-١٩٨٠م): عالم مفكر من رجال الإصلاح والتجديد، ومن أبرز علماء المذهب الجعفري المعاصرين، ولد بالكاظمية بالعراق، وتترعرع فيها ثم انتقل إلى النجف، وهناك درس على أكبر رجالاتها. له مؤلفات عميقة في الفكر والفقه والتفسير، بلغت نحوًا من ثلاثين مؤلفًا، من أهمها: اقتصادنا والمدرسة الإسلامية، والبنك اللاربوي في الإسلام، والمدرسة القرآنية. ويعد من المنظرين القلائل الأوائل للتفسير الموضوعي، توفي ببغداد. انظر: العلاونة، أحمد، **ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، (جدة: المنارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) ص١٦٧.

(٢) الصدر، محمد باقر، **المدرسة القرآنية**، (قم: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ط٥، ١٤٣٥هـ) ص٢٩.

الموضوعي، حيث يقول: "إن ما نقصده هنا ونعنيه أن تتشكل جهود الباحثين في التفسير الموضوعي وفق المعالم التالية:

أ. الاستقصاء التام، والاستقراء الدقيق لحدود الموضوع القرآني وعلاقاته وصلاته وروابطه في القرآن الكريم.

ب. ربط عناصر الموضوع ومتعلقاته وفق "هيكلية قرآنية" تقتضيها طبيعة الموضوع وتعلقاته، حيث تكون الآيات ودلالاتها الموجه الأساسي لذلك، وليس أفكار الكاتب وثقافته"(١).

ثانيًا: ملخص الموضوع القرآني: "عناصر المجتمع وعلاقاته على ضوء القرآن الكريم":

حاول محمد باقر الصدر في القسم الثاني من كتابه المدرسة القرآنية، استنطاق القرآن الكريم والخلوص إلى نظرية قرآنية حول ماهية عناصر المجتمع ومقومات المركب الاجتماعي وعلاقتها مع بعضها البعض.

ويخلص إلى أن المجتمع يتكون من ثلاثة عناصر أساسية: الإنسان والأرض والعلاقة المعنوية بين الإنسان والأرض وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

وهذه العلاقة لها صيغتان: صيغة رباعية وصيغة ثلاثية؛ فالصيغة ثلاثية الأطراف تربط بين الإنسان والإنسان والطبيعة، وأما الصيغة الرباعية ففيها أربعة أطراف، وأطلق عليها صيغة الاستخلاف، وتفصيلها "المستخلف هو الله سبحانه وتعالى، والمستخلف هو الإنسان وأخوه الإنسان، أي الإنسانية ككل، والمستخلف عليه هو الأرض وما عليها ومن عليها"(٢).

وخرج بنظرية "أن دور الإنسان في ممارسة حياته إنما دور الاستخلاف والاستئمان، وأن أي علاقة تنشأ بين الإنسان والطبيعة فهي في جوهرها ليست علاقة مالك بمملوك، وإنما هي

(١) الدقور، **التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج**، ص١٢٣.

(٢) الصدر، **المدرسة القرآنية**، ص ١٠٨.

علاقة أمين على أمانة استؤمن عليها"[١].

ويقرر أن القرآن الكريم يؤمن بالصيغة الرباعية، وأن هذه العلاقة داخلة في تكوين الإنسان ومسار الإنسان الطبيعي والتاريخي، ويقرر أن الاستخلاف سنة من سنن التأريخ، القابلة للتحدي والعصيان[٢].

ولفهم دور الطرف الرابع في الصيغة الرباعية يجب أن يفهم دور الإنسان في العلاقة الاجتماعية، ودور الطبيعة في هذه العلاقة.

ويبين محمد باقر الصدر أن المحتوى الداخلي للإنسان: الفكر والإرادة هما الأساس لحركة التاريخ، وأن العلاقة بين المحتوى الداخلي للإنسان والبناء المجتمعي علاقة سببية؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ثم ينتقل إلى شرح أن أساس المحتوى الداخلي للإنسان هو المثل الأعلى، وأن هذه المثل العليا على ثلاثة أقسام:

١- **المثل العليا المنخفضة**، والمجتمع الذي يمثله يستمد تصوره للمستقبل من الواقع ولا يتجاوزه، ويهدف إلى تجميد الواقع ونقله إلى المستقبل، بحيث يعيش أصحابه حالة تكرارية، ويصبح التاريخ معهم حركة تماثلية تكرارية؛ ويرجع ذلك إلى سببين[٣]:

١- سبب نفسي؛ وهو الألفة والعادة والضياع.

٢- سبب خارجي؛ وهو تسلط الفراعنة والطواغيت على مرِّ التأريخ.

ومع مرور الأيام يفقد المجتمع ولاءه لهذه المثل بسبب جمودها، مما يحوله إلى أمة شبح،

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٢.

(٣) الصدر، **المدرسة القرآنية**، ص١٢٦.

ويئول مصيرها إلى أحد ثلاثة مآلات[١]:

١- تتداعى هذه الأمة أمام غزو عسكري من الخارج، مثلما سقط المسلمون أمام التتار.

٢- الذوبان والانصهار في مثل أعلى أجنبي.

٣- أن ينشأ في أعماق هذه الأمة بذور إعادة المثل الأعلى من جديد بمستوى العصر الذي تعيشه تلك الأمة.

٢- المثل العليا المشتقة من طموح محدود:

في هذه الحالة المثل العليا تكون متطلعة إلى المستقبل، نحو الإبداع والتطوير، لكنه طموح محدود في تصور ذهني محدود للمستقبل، ومع مرور الزمن يتحول هذا الطموح المحدود إلى مثل تكرارية، وتصبح الأمة أمة شبح، وتنطبق عليها نفس المآلات في المثل العليا المنخفضة[٢].

٣- المثل الأعلى الحقيقي: يكون المثل فيه الله سبحانه وتعالى، المطلق الذي لا ينتهي، وهذا المثل عندما يُتبنى فإن المسيرة الإنسانية تتغير تغيرًا كميًّا، فالتطور والإبداع والنمو قائم أبدًا بلا توقف، كما تتغير تغيرًا كيفيًّا بإيجاد الحل الموضوعي الوحيد للمسئولية الإنسانية؛ لأن هذا المثل خارج ومنفصل عن الإنسان.

ولتبني المثل الأعلى الحقيقي هناك شروط[٣]:

أ. الرؤية الواضحة فكريًّا وأيديولوجيًّا لهذا المثل الأعلى، ويتمثل هذا في عقيدة التوحيد.

ب. طاقة روحية مستمدة من هذا المثل الأعلى لتكون وقودًا مستمرًّا للإرادة البشرية، وهذا يتمثل في عقيدة يوم القيامة.

(١) المرجع نفسه، ص: ١٣٠، ١٣١.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٣٢-١٤٠.

(٣) المرجع نفسه، ص: ١٥٠- ١٥٣.

ج. صلة موضوعية بين الإنسان وبين المثل الأعلى، ويتمثل هذا في دور النبوة.

د. لا بدَّ من وجود قيادة بعد دور النبوة، ويتمثل هذا في دور الإمامة (الخلافة).

دور العلاقات الاجتماعية في حركة التاريخ

بعد أن انتهى من الكلام عن الإنسان والطبيعة كعناصر في المجتمع، انتقل للحديث عن دور العلاقات الاجتماعية، وهي تشمل علاقة الإنسان مع الطبيعة، وعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان(١).

وهما خطان منفصلان بينهما تفاعل وتأثير محدود.

علاقة الإنسان مع الطبيعة، ومشكلتها كيف يتم تطويعها واستغلالها لتلبية احتياجات الإنسان، وتحل هذه المشكلة عن طريق قانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة.

علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، في مجال توزيع الثروة وأوجه التفاعل الحضاري، وهي مشكلة التناقض الاجتماعي بين الإنسان وأخيه الإنسان، التناقض بين الغني والفقير، بين القوي والضعيف، وقد أوجد الإسلام حلًّا لهذا التناقض وهو الجهاد الأكبر لتصفية النفس وحل الجدل الداخلي، والجهاد الأصغر في حل كل صيغ التناقض الاجتماعي الخارجية.

وهناك تفاعل محدود بين العلاقة الأولى والثانية، "فكلما نمت خبرة الإنسان على الطبيعة واتسعت سيطرته عليها، وازداد اغتناء بكنوزها ووسائل إنتاجها، تحققت بذلك إمكانية أكبر فأكبر للاستغلال على خط علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان"(٢).

و"كلما جسدت علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان العدالة، وابتعدت عن أي لون من ألوان الظلم والاستغلال، ازدهرت علاقات الإنسان مع الطبيعة وتفتحت الطبيعة

(١) الصدر، **المدرسة القرآنية**، ص: ١٥٧-١٦١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٧٢.

عن كنوزها"[١].

في نهاية هذا الملخص السريع يبدو جليًّا تعمق باقر الصدر في الغوص في التجربة البشرية كما يسميها؛ حيث يروى أنه قرأ ما يقارب أربعين كتابًا[٢] لكتَّاب غربيين، وحاول أن يدمجها ويستخلص منها حقائق قرآنية حول عناصر المجتمع وعلاقاته، فلقد حلل المجتمع وعناصره وكأنه مختص في مجاله، عارف بخباياه.

ويظهر جليًّا تأثير تكوينه العلمي وميوله الفلسفية في لغة الموضوع وعمقه، فجاء مشحونًا بالمصطلحات المنطقية والتفسيرات الفلسفية، موجهًا خصيصًا لطلبة العلم والعلماء.

ثالثًا: منهجية زياد الدغامين:

خصص الدغامين[٣] مبحثًا مستقلًّا يشرح فيه الخطوات الإجرائية في التعامل مع الموضوع القرآني، وهذه الخطوات[٤] هي:

أ. اختيار الموضوع واستقراء النصوص القرآنية فيه، وهذا الموضوع مما يشغل الساحة الفكرية والمعرفية ويتصف بالحيوية والواقعية.

ب. تحديد المفاهيم والمصطلحات عن طريق البحث والقراءة في كتب المصطلح القرآني.

(١) المرجع نفسه، ص١٧٤.

(٢) أبو زيد، **أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر قراءة فاحصة**، ص١٠٨.

(٣) زياد خليل محمد الدغامين: من مواليد عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٩٦٦م، وبها درس الدراسات الجامعية الأولى حيث تخرج من كلية الشريعة بالجامعة الأردنية سنة ١٩٨٤م، ثم الماجستير من الجامعة نفسها سنة ١٩٨٧، ثم سافر إلى ماليزيا لدراسة الدكتوراة وتخرج من الجامعة الوطنية سنة ١٩٩١م. كانت رسالته بعنوان: الوحدة الموضوعية في سورة العنكبوت، ثم تدرج إلى أن أصبح عميدًا لكلية الدراسات الفقهية والقانونية بجامعة آل البيت بالأردن، ويعمل بها حاليًا أستاذًا للتفسير وعلوم القرآن. له مؤلفات عدة تتسم بالجدة والعمق، منها: التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي. ينظر: الدغامين، **ترجمة شخصية**، دون معلومات.

(٤) الدغامين، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، ص: ٦٧-٨٧.

ج. تصنيف آيات الموضوع تصنيفًا علميًّا يتوخى الدقة والموضوعية.

د. اكتشاف المنهج القرآني في التعامل مع الموضوع القرآني.

هـ. معرفة المحيط البيئي للآيات والسور من الوسط البيئي، والعلم بأحوال البشر ومعرفة السياق الذي وردت فيه الآية أو الآيات.

و. تنزيل النص على الواقع وتفسيره.

ز. اختيار اسم الموضوع بحيث يكون مستنبطًا من إيحاءات الآيات القرآنية.

وموازنة مع منهج باقر الصدر، يلاحظ أن هذه الإجراءات تبدو أكثر عملية وتسهل على الباحث السير عليها، وهي أيضًا عامة يمكن أن تطبق على الموضوع الذي ينطلق من الواقع إلى القرآن، أو الموضوع الذي ينطلق من القرآن لينتهي إلى الواقع.

وبالرغم من ذلك، فإن هذه الخطوات الإجرائية تفتقر إلى إضافة عنصر التجربة البشرية (الخبرات البشرية في الموضوع) ومحاولة تمحيصها برؤية القرآن الكريم، وهذه النقطة تحتسب لمنهج باقر الصدر الذي لم يغفل عنها بل ركز عليها.

رابعًا: ملخص الموضوع القرآني "الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم":

ذكر الدغامين موضوع الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم كأنموذج تطبيقي لكيفية التعامل مع موضوعات القرآن الكريم، وقد قسم الموضوع إلى ثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الأمن الاقتصادي

في هذا المبحث عرف الدغامين الأمن لغة: وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف، وفي المصطلح القرآني هي حال الطمأنينة التي يتمتع بها الإنسان إزاء ما يخافه من أخطار الدنيا، ومن عواقب الآخرة(١).

أما الاقتصاد ففي اللغة: هو الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير، أما في القرآن الكريم فهو التوسط والاعتدال وعدم الإفراط أو التفريط، وأن الاقتصاد يشمل دائرة السلوك والأخلاق.

أما الأمن الاقتصادي فهو "حال الاطمئنان الذي ينبثق من حال الاعتدال في استثمار المال، واستخدامه الهادف في ضوء هداية الوحي قرآنًا وسنة وما ترسخه من أسس وقواعد"(٢).

(١) الدغامين، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، ص١٦١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٦.

المبحث الثاني: الأمن الاقتصادي ضرورة إنسانية ومنَّة إلهية

يقرر الدغامين أن الأمن الاقتصادي ضرورة إنسانية نابعة من أعماق الفطرة التي تسعى إلى الأمن على النفس والمال والدين والأهل، وإذا انعدم الأمن الاقتصادي فإنه يؤدي إلى فوضى في العلاقات الاجتماعية، وانتشار الجريمة، وقد امتن الله تعالى على الأمم والأقوام السابقة بالأمن، وأمثلة ذلك قصة سبأ التي ذلل لها طرق السعي وأمنها، وقصة ثمود الذين اتخذوا الجبال بيوتًا، وقد امتنَّ الله على قريش بنعمة الأمن الاقتصادي.

المبحث الثالث: تحقق الأمن الاقتصادي بالسنن الإلهية

هذا المبحث هو صلب الموضوع، وفيه أبدع زياد الدغامين في إبراز كيفية تحقق الأمن الاقتصادي وفقًا للمنظور القرآني، حيث ذكر تسع سنن إلهية[١] للوصول للأمن الاقتصادي، ونذكرها بشكل مختصر:

السنة الأولى: ارتباط الأمن الاقتصادي بالإيمان والتقوى، فالإيمان هو المحور الذي تدور حوله كل العمليات الاقتصادية ونظرياتها الهادفة إلى تحقيق الأمن الاقتصادي[٢]، "فالقرآن الكريم يؤكد على وجود التلازم بين الإيمان والتقوى من جهة، وانفتاح بركات السماء والأرض من جهة أخرى"[٣].

السنة الثانية: إقامة شرع الله تعالى:

إن من مقتضيات السنة الأولى العمل، وإقامة شرع الله هو تنظيم لتعاملات الناس فيما بينهم وإقرار للعدالة والمساواة بين أفراد المجتمع، مما يثبت الأمن الاقتصادي للفرد والمجتمع.

السنة الثالثة: الإقبال على التوبة والاستغفار:

إن التوبة والاستغفار يقودان إلى صلاح باطن المؤمن ويعالجان المشكلات الداخلية للنفس البشرية، مما ينعكس إيجابًا على التزام المرء خارجيًّا بمبادئ العدالة والمساواة.

السنة الرابعة: بالشكر يرتقي مستوى الأمن الاقتصادي: وهذا الشكر يجب أن يكون على مستوى الأمة.

(١) المرجع نفسه، ص: ١٧١-١٩٩.

(٢) الدغامين، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، ص١٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧٤.

السنة الخامسة: الكفر والإعراض مؤذنان بزوال الأمن الاقتصادي:

إن القرآن الكريم يؤكد في الكثير من الآيات أن انعدام الأمن الاقتصادي ملازم للكفر، وأنه لا يوجد أمان دائم مع الكفر.

السنة السادسة: الذنوب مؤذنة بزوال الأمن وهلاك الخلق:

إن للذنوب أثرًا سلبيًّا في الأمن الاقتصادي إذا طالت واستكبر أصحابها، حيث يئول مصير الأمة إلى الزوال إذا تمادت في الذنوب والآثام.

السنة السابعة: الأمن الاقتصادي يقوم على العمل: ففي القرآن الكريم لا يوجد فصل بين الإيمان والعمل، فهما مرتبطان معًا في تحقيق الأمن الاقتصادي للأمة.

السنة الثامنة: استثمار المال بما يوافق الشرع: بحيث يكون هذا الاستثمار مقيدًا بقيود الشريعة؛ فلا يستثمر في المعاملات المحرمة، ولا يكنز، ولا يبذر ويبدد إسرافًا.

السنة التاسعة: الذات منطلق الوصول إلى الأمن الاقتصادي:

إن سبيل تحقيق الأمن الاقتصادي يبدأ من الذات وتغييرها، ومراعاة ظروفها وأسباب قوتها وضعفها، ولا يمكن أن يأتي التغيير من الخارج، وكذلك فشل عملية الأمن الاقتصادي تأتي من الداخل أيضًا.

هذه هي أهم النقاط التي استنبطها زياد الدغامين في موقف القرآن الكريم من الأمن الاقتصادي، ويلاحظ فيها سلاسة أسلوب الدغامين وسهولته، فهو ينتقي المصطلحات، ويمعن في الأسلوب البلاغي السهل، ويأخذك من نقطة إلى أخرى من دون أن تشعر.

وكخلاصة يمكننا القول بأن الأمن الاقتصادي يرتبط ارتباطًا أساسيًّا بالإيمان بالله تعالى والعمل الصالح والتقوى والخوف من الله تعالى، وحيثما وجد الكفر اضطرب المجتمع وتضعضع الأمن ولو بعد حين.

خامسًا: موازنة ما بين باقر الصدر والدغامين:

الجدول التالي يظهر موازنة بين تطبيق محمد باقر الصدر وزياد الدغامين.

الموضوع	محمد باقر الصدر	زياد الدغامين
العنوان	عناصر المجتمع وعلاقاته	الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم
عدد الآيات	٥١ آية	٨١ آية
طريقة اختيار الموضوع	من الواقع إلى القرآن	من الواقع إلى القرآن
استيعاب الموضوع	لم يورد كل الآيات في الموضوع	استوفى الآيات في الموضوع
الإفادة من العلوم الأخرى	التاريخ، الفلسفة، الحديث، الاقتصاد	التفسير التجزيئي، اللغة، الفكر
التبويب	غير واضح لطبيعة الدروس	تبويب واضح وجلي
الالتزام بالمنهج	نعم إلى حد بعيد	نعم إلى حد ما
الخروج بنظرية	خرج بعدة نظريات حول علاقات المجتمع مع عناصره.	خرج بنتائج وسنن إلهية حول الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم

المبحث الثالث: نقد تطبيقات التفسير الموضوعي عند باقر الصدر وزياد الدغامين

أولًا: إيجابيات تطبيق محمد باقر الصدر وسلبياته:

أخذ موضوع عناصر المجتمع وعلاقاته ثمانية دروس في كتاب المدرسة القرآنية، وامتد على ٨٢ صفحة من التحليل والاستنطاق للقرآن الكريم، وإن المتأمل في تطبيق التفسير الموضوعي عند باقر الصدر، يجدها متوافقة تمامًا مع منهجيته التي صرح بها في مقدمة كتابه المدرسة القرآنية. وقد خرج بنظرية قرآنية حول عناصر المجتمع وعلاقاته، إلا أن هناك إشكاليات واضحة في التطبيق، ولعل من أهمها:

أ- لم يكن استقراء القرآن الكريم كاملًا، فعدد الآيات المستشهد بها في بحثه يصل إلى ٥١ آية من دون تكرار، وهذا العدد قليل جدًّا، فهو بالكاد نصف آية للصفحة، ولربما كانت ستتغير بعض النتائج لو استقرئ القرآن بشكل كامل. يقول الباحث محمد محمود بني الدومي بأن محمد باقر الصدر "لم يستقرئ جميع الآيات القرآنية الواردة في تكوين المجتمع في القرآن الكريم؛ بل اقتصر على دراسة مجموعة من الآيات توصل من خلالها إلى ما ذكر سابقًا، والحقيقة أنه لو استقرأ جميع آيات الموضوع لربما اختلف الأمر كليًّا"(١).

وقد حاول أحمد أبو زيد الرد على هذا الإشكال بأن قال: "ونحن نوافق على الإشكال إن كانت الآيات التي أخرجها من البحث مؤثرة في النتيجة، أما إذا لم تكن كذلك، فربما كان مبنى الشهيد الصدر هو مبنى محمد عبد الله دراز"(٢). ثم أشار إلى أن دراز لم يكن من منهجه استيعاب كل الآيات ذات الصلة بالموضوع، وتجنب التكرار في كتابه دستور الأخلاق في القرآن.

(١) نقلًا عن: أبو زيد، **أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر قراءة فاحصة**، ص٢٩٧.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٩٨.

إلا أن هذا الرد لا يدفع الإشكال ويبقى قائمًا؛ لأن معنى استنطاق القرآن (كما يسميه باقر الصدر) هو معرفة رأي القرآن الكريم من خلال كل آياته وليس جزءًا منها، وهذا يتطلب جمع أكبر قدر منها إن لم يكن كلها.

ب- الملاحظ من خلال استشهادات باقر الصدر بالآيات أنه في بعض الأحيان منتزعة من سياقها القرآني ومحملة بمعان بعيدة عن ألفاظها، ومثال ذلك استشهاده بالآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦] فهو يستدل بهذه الآية إلى أنها "تضع الله سبحانه وتعالى هدفًا أعلى للإنسان.. والكدح -كدح الإنسانية ككل- نحو الله سبحانه وتعالى؛ يعني السير المستمر بالمعاناة وبالجهد وبالمجاهدة؛ لأنَّ هذا السير ليس سيرًا اعتياديًّا؛ بل هو سير ارتقائي، هو تصاعد وتكامل، هو سير تسلق"(١). وهذا الاستدلال بالرغم من روعته إلا أن الآية لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى معنى السير الارتقائي التصاعدي التكاملي.

ج- الغياب التام لآراء المفسرين في التفسير التجزيئي؛ بالرغم أن باقر الصدر أشار في الدرسين الأوليين إلى أن التفسير الموضوعي هو خطوة مكملة للتفسير التجزيئي.

د- إن أسلوب باقر الصدر يتصف بالعمق والتخصصية، وقد حوى الكثير من المصطلحات المنطقية والفلسفية، وهذا الشيء يضيق من الجمهور المستفيد من الموضوع، ويجعله حصرًا على المختصين.

هـ- إن النظريات التي خرج بها تعتبر سباقة في التفكير الفلسفي الإسلامي، وتدل على عمق كبير في التفكير، إلا أن الاستفادة منها في واقع الحياة صعب جدًّا، ولم يقدم استفادة من كل تلك النظريات إلا في جزئية واحدة وهي الاستقلال النسبي بين الخطين: خط علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان، وخط علاقات الإنسان مع الطبيعة، حيث ربطها بالأساس النظري للاتجاه العام للتشريع الإسلامي(٢).

(١) الصدر، **المدرسة القرآنية**، ص١٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٦.

و- إن منحى باقر الصدر في تطبيق التفسير الموضوعي يبعده عن أدبيات تفسير القرآن الكريم المعروفة، ويقربه إلى كتب الفكر الفلسفي الإسلامي، حيث التنظير والاستشهاد بالسنن التأريخية، وموازنة مدارس الفلسفة الحديثة مع الإسلام.

ثانيًا: إيجابيات تطبيق زياد الدغامين وسلبياته:

تحدث زياد الدغامين في موضوع "الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم" كتطبيق عملي للتفسير الموضوعي المنطلق من الواقع إلى القرآن الكريم، وكمثال يحتذى به للسير على المنهجية التي رسمها في كتابه.

وقد أحسن صنعًا بالتزامه بالمنهج الذي رسمه ولم يخرج عنه؛ ففي ٤٤ صفحة حاول الدغامين النظر في موضوع الأمن الاقتصادي من وجهة القرآن الكريم، فقام باستقصاء كامل للقرآن الكريم وخرج بواحد وثمانين موضعًا تحدثت عن الأمن الاقتصادي، سواءً أكان مباشرًا أم غير مباشر، ثم قام بتصنيف هذه الآيات إلى ثلاثة مباحث: في تعريف الموضوع، وأهميته، والسنن الإلهية المتعلقة بالأمن الاقتصادي.

وعند القراءة المتأنية لهذا التطبيق تبرز عدة إشكاليات حوله من أهمها:

أ. لإن كان محمد باقر الصدر لم يذكر أيًّا من التفاسير التجزيئية أثناء تناوله التفسير الموضوعي، فإن الدغامين أكثر من ذكرها والنقل عنها، وقد أحصينا أكثر من ثلاثين موضعًا ذكرها في بحثه هذا، وهذا عدد كبير يتنافى مع ماهية التفسير الموضوعي.

ب. الإكثار من الاستشهاد والنقل من الكتب الفكرية، حتى وصل عدد هذه الكتب إلى ثمانية عشر كتابًا، وهذا يخرج عن الفكرة الرئيسة للتفسير الموضوعي.

ج. الميل إلى التكرار وتكثير السنن الإلهية؛ حيث أوصلها إلى تسع سنن إلهية في الأمن الاقتصادي، وكان بإمكانه اختصارها وتركيزها؛ لأن بعضها أصل وبعضها فروع، فالإيمان أصل وتبعاته من توحيد وعمل وتوبة واستغفار فروع له، والكفر أصل ومفاسده فروع تنبت منه.

د. عدم الجدة في الطرح واستخلاص الموقف القرآني، مقارنة مع طرح باقر الصدر، فمعظم السنن التي ذكرها مأخوذة من الآيات بشكل مباشر وحرفي من دون إعمال الفكر والغوص في استكشاف السنن الكونية التي يمشي عليها نظام هذا الكون.

ومثال ذلك في السنة الثالثة الإقبال على التوبة والاستغفار، فقد ربطها الدغامين وطبقها على مستوى الفرد فالتوبة والاستغفار هما عنوان صلاح الباطن وقوته، وإذا صلح الباطن صلحت الأمور الخارجية[١]، وهذا المعنى إجماليًّا وليس جديدًا، وكان بإمكان الدغامين أن يطبق هذه السنة على مستوى الأمة بالتزامها بالتوبة والاستغفار من الظلم وطغيان الطبقات الاجتماعية وعدم انتشار العدل، فإذا ما تابت الأمة من هذه المظالم توبة نصوحًا وتعهدت بقوانينها ومؤسساتها، فإنها ولا شك ستنعم بالأمن الاقتصادي في هذه الدنيا.

وقس على هذا بقية السنن التي ذكرها، والتي يجب أن تطبق على الواقع المعاصر بكل احتياجاته ومتطلباته، وليس مجرد تجميع آراء المفسرين القدامى الذين كتبوا لما يناسب عصرهم، ونحن أبناء هذا العصر يجب أن نخرج لما يناسب عصرنا.

(١) الدغامين، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، ص: ١٨٠، ١٨١.

الخاتمة

نصل إلى خاتمة هذا البحث، ونلخص فيه أهم النتائج التي توصلنا إليها:

أ. بسبب جدة التفسير الموضوعي فإن تعريفه ومناهجه ما يزال يشوبها الكثير من التداخل وعدم الوضوح، مما يسبب إشكاليات في تطبيقه لدى الدارسين.

ب. هناك الكثير من الصعوبات في التفسير الموضوعي التي يجب على الباحث تجنبها؛ تبدأ باختيار الموضوع وطرق استقصاء الآيات وتصنيفها واكتشاف الموقف القرآني تجاه الموضوع المبحوث، مما يجعل تطبيق التفسير الموضوعي ليس بالسهولة التي تصورها بعض الكتب والأبحاث.

ج. كان تطبيق محمد باقر الصدر للتفسير الموضوعي في موضوعه "عناصر المجتمع وعلاقاته" مبتكرًا أظهر فائدة التفسير الموضوعي في إعادة اكتشاف القرآن الكريم واستخراج مكنوناته، بالرغم من وجود بعض السلبيات كعدم استقصائه جميع آيات الموضوع.

د. جاء تطبيق زياد الدغامين في موضوع "الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم" بعد أن ظهرت كتب كثيرة حول التفسير الموضوعي وكيفية الكتابة فيه، مما جعله يظهر بشكل منظم ومرتب ومبوب بشكل واضح، إلا أنه أيضا عانى من الاعتماد المكثف على التفسير التجزيئي، مما جعله يميل بالتفسير الموضوعي إلى جمع وترتيب أفكار التفسير التجزيئي.

توصية

وفي ختام هذا البحث، تجدر الإشارة إلى قلة البحوث في علم التفسير الموضوعي المتعلقة بنقد التطبيقات المعاصرة وتبيين إيجابياتها وسلبياتها، وهذه دعوة للباحثين للكتابة في هذا المجال من أجل تطوير التفسير الموضوعي التطبيقي ودفعه إلى الأمام.

قائمة المراجع والمصادر

١. أبو زيد، أحمد عبدالله (٢٠١١)، **أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر قراءة فاحصة**، (الطبعة الأولى)، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

٢. الخالدي، صلاح عبد الفتاح (٢٠١٢)، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (الطبعة الثالثة)، عمان، دار النفائس.

٣. الدغامين، زياد خليل (٢٠٠٧)، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، (الطبعة الأولى)، عمان، دار عمار.

٤. الدقور، سليمان محمد علي (٢٠١٤)، **التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج**، عمان، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، مجلد ٤١، العدد ١.

٥. رشواني، سامر عبد الرحمن (٢٠٠٩)، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (الطبعة الأولى)، حلب، دار الملتقى.

٦. سراقي، علي، **التفسير الموضوعي مآزقه وإشكالياته**، (٢٠١٨)، ترجمة نظيرة غلاب، موقع نصوص معاصرة:

http://nosos.net/التفسير-الموضوعي،-مآزقه-وإشكاليّاته/

٧. سعيد، عبدالستار فتح الله، (١٩٨٦)، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (الطبعة الأولى)، بدون، دار الطباعة والنشر الإسلامية.

٨. الصدر، محمد باقر، (١٤٣٥هـ)، **المدرسة القرآنية**، (الطبعة الخامسة)، قم، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.

٩. العلاونة، أحمد، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، **ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، (الطبعة الأولى)، جدة، المنارة للنشر والتوزيع.